

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شهد النصف الثاني من القرن العشرين نهضة كبيرة في مجال فلسفة الدين في المحيط الأنجلو أمريكي، وكان من أسباب تلك النهضة ظهور فلاسفة بارزين في العالم الغربي أعادوا نقاش المسائل الاعتقادية الدينية التقليدية إلى الحظيرة الفلسفية بعد أن كانت مستبعدة تحت تأثير الفلسفات المناهضة للدين كالوضعية المنطقية. من هؤلاء: ألفن بلانتنجا^(١) Alvin Plantinga، وويليام أَلستون^(٢) William Alston، وأنتوني فلو^(٣) Antony Flew،

(١) ستأتي ترجمته قريباً.

(٢) وويليام أَلستون (١٩٢١-٢٠٠٩) فليسوف أمريكي اهتم بفلسفة اللغة والفلسفة المسيحية والإبستمولوجيا. حصل على الدكتوراه من جامعة شيكاغو ودرّس في عدة جامعات أمريكية، وكان رئيساً للقسم الغربي في الجمعية الفلسفية الأمريكية عام ١٩٧٩، ويعد من أبرز الذين ساهموا في إحياء فلسفة الدين في القرن العشرين.

(٣) أنتوني فلو (١٩٢٣-٢٠١٠) فليسوف تحليلي إنجليزي، ولد في لندن لأسرة مسيحية ولكنه أُلحد في سن مبكر. اشتهر بإسهامه في فلسفة الدين ومن أهم =

ولودفيج فتجنشتاين^(١) Ludwig Wittgenstein ، وجورج
مافروديس^(٢) George Mavrodes ، نيكولاس ولترستورف^(٣)
Nicholas Wolterstorff ، ونورمان كريتزمان^(٤) Norman Kretzman ،

= أعماله (الإلحاد الافتراضي The Presumption of Atheism) الذي قرر فيه أن
سؤال وجود الله ينبغي أن يبدأ بالإلحاد كأصل افتراضي. تراجع انتوني فلو عن
الإلحاد وأثبت وجود إله في آخر حياته.

(١) لودفيج فتجنشتاين (١٨٨٩-١٩٥١)، فيلسوف نمساوي. كان لأفكاره أثرٌ كبيرٌ على
حركتين فلسفتين هما: الوضعية المنطقية والتحليل اللغوي، ولد في فيينا في أسرة
ثرية، ذهب إلى إنجلترا وسجّل نفسه في هندسة الطيران، وكان يعمل على تصميم
محركات نفاثة، وأصبح مفتوناً بالرياضيات والتصميم، ومن هنا اتجه إلى الأسئلة
الفلسفية المتعلقة بأسس الرياضيات. عمل أستاذاً جامعياً ومدرّساً في مدرسة
ابتدائية، وعمل خلال الحرب جندياً وبوّاباً في مستشفى لندن، أصيب بسرطان
البروستاتا، ومات به.

(٢) جورج مافروديس، فيلسوف أمريكي مسيحي إصلاحى ولد عام ١٩٢٦. حصل على
الدكتوراة من جامعة ميشجن ودرس فيها. كتب في العديد من المواضيع مثل
الوحي والقدرة الإلهية والمعجزات والقيامة والإيمان والعقل وكذلك كتب في
قضايا السياسة الاجتماعية المتقاطعة مع الدين والأخلاق كالإجهاد والحرب
العادلة. تقلد منصب رئيس جمعية الفلاسفة المسيحيين. وكان أحد أعضاء التحرير
في المجلة الإصلاحية، والإيمان والفلسفة.

(٣) نيكولاس ولترستورف فيلسوف ولاهوتي أمريكي ولد عام ١٩٣٢. أسهم في تأسيس
جمعية الفلاسفة المسيحيين ومجلة الإيمان والفلسفة وألف العديد من الكتب في
مجال فلسفة الجمال والإستمولوجيا وفلسفة السياسة والفلسفة الدين وفلسفة
التعليم. درس في عدة جامعات منها هارفارد وأكسفورد ومشيغان.

(٤) نورمان كرتزمان (١٩٢٨-١٩٩٨) فيلسوف أمريكي كان يُدرس في جامعة كورنيل
بنيويورك واهتم بفلسفة الدين وفلسفة القرون الوسطى. أصيب بالسرطان وأخبره
الأطباء أنه ليس لديه سوى سنتين للعيش ولكنه بقي بعدها سبعة سنين مجتهداً في
أبحاثه وكتاباتِه.

وغيرهم. ومما ساهم في ذلك أيضًا ظهور بعض النظريات والاكتشافات العلمية ذات المضامين الفلسفية الداعمة للاعتقاد التأيهية^(١) Theistic belief كنظرية الانفجار العظيم الداعمة للقول بحدوث العالم، واكتشاف «الدي إن أي» الدال على وجود مصمم ذكي. وفي ظل هذه النهضة نفص الغبار عن الحجج التأيهية، وتم تناولها تطويرًا ونقدًا، وظهرت أشكال جديدة من الحجج على وجود الله، كما أجبر التعرف المتزايد على الأديان غير التأيهية على مناقشة مواضيع مثل: تعدد الحقيقة الدينية Religious pluralism، والفلسفة البوذية للدين. وبشكل عام، يمكن تقسيم النقاش في مجال فلسفة الدين المعاصرة إلى قسمين:

الأول: يبحث في الطابع المميز للحياة الدينية؛ ويشمل ذلك: التوضيح والتحليل الوصفي لكل من الاعتقاد والممارسة واللغة الدينية، مع الأخذ في الاعتبار القوانين التي تحكم الممارسات الدينية، وبيان موقع الاعتقاد والممارسة الدينية من الاعتقادات والممارسات الأخرى، خاصة الأخلاقية والعلمية.

(١) تطلق النزعة التأيهية Theism على الاعتقاد بأن الكون وما فيه مخلوق للإله الواحد الحر المتعالي المبين لمخلوقاته المتصف بالكمالات المطلقة، الذي يعلم أحوالنا ويسمع دعواتنا ويتدخل لتدبير أمور خلقه، والذي يجب على البشر جميعًا أن يؤمنوا به ويثقوا به ويطيعوا أمره. هذا المفهوم العام للإله = مشترك بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ويطلق على الأديان الثلاثة بهذا الاعتبار الأديان التأيهية Theistic religions.

والثاني: يبحث في تبرير الاعتقادات الدينية ويشمل ذلك: تقييم عقلانية الاعتقادات الدينية، مع الاهتمام بالبحث عن مدى تماسك هذه الاعتقادات ووجاهة الحجج التي تبررها^(١). والنظر فيما إذا كان الاعتقاد الديني ينبغي أن يخضع لنفس الشروط المعيارية للمعرفة، أو أن يعامل معاملة خاصة. وهذا القسم الثاني هو الذي يعبر عنه إبستمولوجيا الدين أو الميتا إبستمولوجي أو الإبستمولوجيا الدينية، ويعتبر أحد أهم المجالات الحديثة في فلسفة الدين.

تعريف إبستمولوجيا الدين

أولاً: تعريف الإبستمولوجيا:

تعتبر الإبستمولوجيا (أو نظرية المعرفة Theory of Knowledge) أحد أهم المباحث الفلسفية الرئيسة الثلاثة: الأنطولوجيا، والإبستمولوجيا، والأخلاق. وتعود كلمة الإبستمولوجيا Epistemology إلى اللغة اليونانية، وهي مركبة من مقطعين: Episteme وتعني المعرفة، و Logos وتعني إيضاح أو تفسير. وعليه يكون المعنى الحرفي للكلمة هو: إيضاح المعرفة. ويمكن تعريف الإبستمولوجيا بأنها ذلك الفرع من الفلسفة الذي يعتني بتوضيح طبيعة وأصل المعرفة، والبحث عن الشروط والقواعد

(١) Jones, L. (2005). "Philosophy: Philosophy of religion" In Encyclopedia of religion (2nd ed., Vol. 10). New York: Macmillan, p. 7122.

التي بها يحصل الناس على المعرفة أو الاعتقادات العقلانية المبررة.

لم يكن لمصطلح الإستمولوجيا ظهور قديم كالذي للمصطلحات الفلسفية الأخرى التي تشير إلى الميتافيزيقا أو الأخلاق أو الجمال، وإن كنا نجد المباحث الإستمولوجية يُتعرض لها في كتب مثل: مقال في الفهم الإنساني لجون لوك^(١) John Locke، وقواعد لتوجيه الفكر لرينية ديكارت^(٢)

(١) جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤)، فيلسوف إنجليزي من أوائل الفلاسفة الذين أسهموا في وضع مشكلة المعرفة بمعناها الحديث، ولد في رينجتون في نفس السنة التي ولد فيها الفيلسوف اسپينوزا، ونشأ في بيئة محافظة متدينة تتبع طريقة (المتطهرين) وقد تأثر بها جون لوك، وكان ينصح الجميع باتباع هذه الطريقة في تربية أبنائهم، درّس بأكسفورد وكان صديقًا لإسحاق نيوتن وبويل، وتسببت هذه الصداقة في إقباله على دراسة العلوم الطبيعية، وقد مارس الطب عمليًا وأجرى عملية جراحية للورد أشلي، وأنقذ حياته بها فوثق به، وعيّن في مناصب سياسية مهمة، يُنظر إلى لوك عادة على أنه تجريبي، وإلى ديكارت على أنه عقلاني، إلا أنهما كانا يشتركان في جوانب كثيرة؛ فقد كان كلٌّ منهما يسعى لوضع رؤية للمعرفة البشرية متماشية مع الرؤية الجديدة الميكانيكية للعالم، لكن جون لوك كان يؤكّد على التجريبية والاحتمالية، في حين ديكارت كان يؤكّد على المعرفة القلبية واليقين.

(٢) ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠)، فيلسوف ورياضي وعالم فرنسي يُلقّب بأبي الفلسفة الحديثة، اكتشف الهندسة التحليلية، وكان رائدًا في محاولة صياغة قوانين عامة بسيطة في الحركة تحكّم جميع التغيرات الطبيعية، ولد ديكارت في لاهايه بمقاطعة تورين بفرنسا، وتعلّم في إحدى المدارس اليسوعية، وخدم في جيوش بلديين، كما سافر كثيرًا، وقد مكّنته الأموال التي ورثها -والتي جاءته ممن تولوه بالرعاية- من تكريس معظم وقته للدراسة، وفي الفترة بين ١٦٢٨ و١٦٤٩ م. =

Rene Descartes ، وتحقيق في الذهن البشري لديفيد هيوم^(١)

David Hume ، ورسالة في مبادئ المعرفة الإنسانية لجورج

بركلي^(٢) George Berkeley ، وأبحاث جديدة في الفهم البشري

= عاش ديكارت حياة علمية هادئة في هولندا، وأنتج معظم مؤلفاته الفلسفية، وفي أواخر عام ١٦٤٩م، قَبِلَ دعوةً من الملكة كريستينا لزيارة السويد حيث أُصيب بمرض عُضال وتوفي هناك.

(١) ديفيد هيوم (١٧١١-١٧٧٦)، أهم الفلاسفة التجريبيين الإنجليز، وُلد في إدنبرة، والتحق بجامعة إدنبرة مدة ثلاثة أو أربعة أعوام، وتركها قبل أن يحصل على الدرجة العلمية، كان يراود منه أن يصبح محامياً، وقد حاول تلبية أمنية عائلته لكنه آثر الفلسفة. قضى غالبية حياته في الكتابة، ومن وقت لآخر، كان يقدم خدماته في بعثات دبلوماسية في فرنسا وأقطار أخرى. أعظم أعماله: رسالة في الطبيعة البشرية، ولم تجذب إليها إلا اهتماماً ضئيلاً عندما نُشرت، ولكن شهرة هيوم طَبَّقَت الآفاق وبخاصة في فرنسا بعد أن نشر عدداً أكبر من أعماله في الفلسفة والدين والتاريخ. لم يقدر لهيوم أن يصبح أستاذاً جامعياً نظراً لأرائه الإلحادية، فكان يعمل في طلب الرزق معلماً خصوصياً ثم سكرتيراً للعديد من الأثرياء وذوي النفوذ.

(٢) باركلي (١٦٨٥-١٧٥٣)، فسيوس بروتستانتي وفيلسوف مثالي تجريبي، ولد في أيرلندا من أسرة إنجليزية عريقة، تعلّم في كلية ترنتي بجامعة دبلين حيث كان لمؤلفات ديكارت ولوك ونيوتن الحظ الأكبر في برنامج الدراسة، وحصل على الليسانس عام ١٧٠٤ وعين مدرساً بالجامعة «١٧٠٧» لليونانية والعبرية ثم للاهوت، وبعد سنتين صار قسيساً، كان تجريبياً لأبعد الحدود ودفعه إخلاصه للمنهج التجريبي إلى رفض وجود الجواهر المادية، فهدم ما آمن به لوك ومن قبله ديكارت ونيوتن، ثم استدعى فكرة الله لبناء مذهبه الفلسفي - كما فعل ديكارت من قبل- فأكد أن مدركاتنا الحسية يمكن الاعتماد عليها إلا بفضل الله.

لجوتفرد ليبنتز^(١) Gottfried Leibniz، ونقد العقل المحض لإيمانويل كانط^(٢) Immanuel Kant. إلى أن أتى جيمس فريدريك فيرير^(٣) James Frederick Ferrier بمصطلح الإبستمولوجيا Epistemology، في كتابه (مبادئ الميتافيزيقا Institutes of Metaphysics)، الذي نشره عام ١٨٥٤. وفي عام ١٨٦٢ اكتسبت

(١) ليبنتز (١٦٤٦-١٧١٦)، فيلسوف وعالم رياضيات ألماني، ولد في مدينة ليبزج الألمانية في أسرة ميسورة، وسافر كثيرًا في أوروبا في بعثات دبلوماسية مختلفة لحكام ألمان، اكتشف هو والسير إسحاق نيوتن -كلُّ بطريقتين- نظرية حساب التفاضل والتكامل، كذلك وضع ليبنتز نظام العد الثنائي، واخترع آلة حاسبة، كان مهتمًا بالتوحيد بين المذاهب المسيحية الكاثوليك والبروتستانت، كما كان مهتمًا بالتوحيد بين ملوك الدول المسيحية؛ ليكونوا تحالفًا ضد العالم اللامسيحي، وهو الذي وجّه نظر ملك فرنسا إلى مشروع لغزو مصر، وأعجب الفرنسيون بهذه الفكرة التي لم يلبث أن نفذها نابليون فيما بعد، مات ليبنتز في هانوفر التي قضى فيها فترة طويلة من أواخر حياته.

(٢) كانط (١٧٢٤-١٨٠٤)، فيلسوف مثالي ألماني، ولد في كونجسبرج في بروسيا الشرقية، وقضى حياته كلها في هذه المدينة، كان يعمل بعد تخرجه من الجامعة مدرسًا خصوصيًا لأطفال الأسر الغنية ثم عين أستاذًا للمنطق والميتافيزيقا في جامعة كونجسبرج عام ١٧٧٠، وكان يُدرّس فيها طائفة من علوم عصره، مما عطل ظهور أصالته الفكرية في وقت مبكر، فأصدر أول كتاب هامّ في فلسفته النقدية (نقد العقل الخالص) وقد ناهز السابعة والخمسين من عمره، ويعتبر كانط أول من قدم ردًا فلسفيًا على مذهب الشك لهيوم.

(٣) جيمس فريدريك فيرير (١٨٦٤-١٨٠٨)، فيلسوف وكاتب إسكوتلندي. ولد في أدنبره لعائلة ثرية، وتعلم في جامعة أدنبره، دُرّس في جامعة أدنبره كما تعلم في أكسفورد. قضى بعض الأشهر في ألمانيا وقد تأثر بالفلسفة الألمانية وخاصة هيجل وشيلنج. أهم كتبه شرائع الميتافيزيقا Institutes of Metaphysic.

الكلمة الألمانية Erkenntnistheorie - والتي تعني: نظرية المعرفة - شهرة بعد الورقة التي نشرها إدوارد زيلر (١٩٠٨-١٨١٤) بعنوان: (أهمية ومهمة نظرية المعرفة Bedeutung und Aufgabe der Erkenntnistheorie) والتي أكد فيها أن الفضل في العودة إلى الاهتمام بأبحاث المعرفة يعود إلى كانط. وقد وجدت كلمات أخرى أيضا تشير إلى معنى مصطلح الإبستمولوجيا في كتابات بعض الفلاسفة. إلى أن أصبحت هاتان الكلمتان الآن (الإبستمولوجيا، ونظرية المعرفة) من الكلمات المتداولة بكثرة في المجال الفلسفي^(١). من المسائل التقليدية التي تعني

(١) انظر:

Audi, R. (1999). The Cambridge dictionary of philosophy. Cambridge, U.K.: Cambridge University Press, p. 273.

Jan Wole?ski, The history of epistemology, Handbook of epistemology, (Kluwer Academic Publishers,2004), p.3.

(٢) وفقاً للرؤية التقليدية في علم الإبستمولوجيا فإن المعرفة تحلل إلى ثلاثة مكونات أساسية، هي في ذات الوقت شروط ضرورية، المكون الأول هو: الاعتقاد Belief، وهو: حالة عقلية داخلية. والمكون الثاني عبارة عن شرط خارجي، وهو: الصدق Truth، وإن كان هو أيضاً نوعاً من الحالات العقلية. والمكون الثالث يربط بين الاثنين السابقين، وهو: التبرير Justification. وفقاً لهذا التحليل القياسي تعرف المعرفة بأنها الاعتقاد الصادق المبرر. في عام ١٩٦٣ قدم الفيلسوف الأمريكي إدموند جيتيه Edmund Gettier ورقة من ثلاث صفحات بعنوان: «هل الاعتقاد الصادق المبرر معرفة؟» Is Justified True Belief Knowledge? تحدى فيها التحليل التقليدي للمعرفة بعرض حالات تتعارض مع هذا التحليل عرفت بحالات جيتيه Gettier cases أو مشكلة جيتيه The Gettier problem . =

الإبستمولوجيا بمعالجتها: تحليل المعرفة^(١) وتوضيح حدودها وشروطها ووسائلها: الحس أو العقل أو الإلهام أو الحدس؛ ومناقشة أطروحات الشكك الذين أنكروا إمكان المعرفة اليقينية؛ والبحث في معنى الصدق، وطبيعة التبرير وشروطه، والصلة بين

= تبين تلك الحالات كيف أنه يمكن أن يحصل المرء على اعتقاد صادق مبرر ومع ذلك يقصر عن رتبة المعرفة. من الأمثلة التي تضرب لحالات جيته = مثال الأغنام في الحقل، وهو كالتالي: تخيل أنك تقف خارج حقل، ثم أنت ترى بداخله ما يبدو تمامًا كالشاة. فما هو الاعتقاد الذي يحدث لك على الفور؟ من بين سائر الاحتمالات يحدث أن تعتقد أنك ترى شاة في الحقل. وفي الواقع أنت محق فهناك بالفعل شاة في الحقل، لكن مكانها خلف التل الذي يقع في منتصف الحقل. أنت لا تستطيع أن ترى هذه الشاة التي هي خلف التل ولا لديك أي دليل على وجودها. أما ما رأيته مما يبدو كالشاة تمامًا فهو كلب متكرر في شكل شاة. وفقا لما سبق فأنت تملك اعتقادًا صادقًا مبررًا بأن هناك شاة في الحقل، ولكن هل هذا الاعتقاد بهذه الصورة يصدق عليه أنه معرفة؟ يجيب معظم الإبستمولوجيين، إن لم يكن جميعهم، بالنفي على هذا السؤال. على إثر هذه الورقة رفض بعض الفلاسفة التحليل القياسي للمعرفة لعدم قدرته على مجابهة مشكلة جيته. ومن هؤلاء الفيلسوف البريطاني المعاصر تيموثي ويليامسون Timothy Williamson الذي ذهب إلى أن مفهوم المعرفة غير قابل للتحليل إلى ما هو أبسط منه؛ بمعنى أن المعرفة لا تتكون من مزيج يتضمن حالة عقلية داخلية هي (الاعتقاد)، وحالة شرط خارجي هو (الصدق)؛ بل المعرفة نفسها نوع من أنواع الحالات العقلية. لكن على رغم الهزة العنيفة الذي تلقاها هذا التحليل الثلاثي للمعرفة بعد ورقة جيته، والتي دفعت الفلاسفة إلى محاولة البحث عن شرط رابع أو وضع تعديلات على مفهوم التبرير = إلا أنه لا يزال يمثل التحليل القياسي عند معظم المشتغلين بالإبستمولوجيا. وربما يضاف شرط رابع لاستبعاد حالات جيته Gettier cases وهو: ألا يكون صدق القضية عَرَضًا بالصدفة.

الذات المدركة والموضوع المدرك. ومن المباحث الإستمولوجية الحديثة مبحث فلسفة العلم، وهو فرع محدد من الإستمولوجيا يبحث فقط في الأسس المنطقية والفلسفية لنمط معين من المعرفة وهي المعرفة العلمية (الطبيعية) بالمعنى الذي نعد به علم الفلك علما ولا نعد التنجيم كذلك. هذا بالإضافة إلى أن الاهتمام المعاصر بطبيعة المعرفة لا يقتصر فقط على ذلك الفرع الفلسفي المسمى نظرية المعرفة أو الإستمولوجيا؛ ولكن يشمل أيضا: نظرية المعلومات، والذكاء الاصطناعي، والعلوم الإدراكية. ولا تعتبر هذه المجالات بديلاً عن نظرية المعرفة التقليدية، فهي فروع من علوم تجريبية لا فلسفية.

ثانياً: تعريف الدين

قد يبدو تعريف الدين لأول وهلة سهل المنال، نظراً لأنه متصور بشكل ما عند معظم الناس، لكنه في الواقع أبعد ما يكون عن ذلك. اختلف الأنثروبولوجيون وعلماء الأديان وتاريخ الأفكار في تحديد مفهوم الدين. بحسب اصطلاح الإسلاميين - هو «وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات»^(١). وفي الدوائر الغربية يعرف الدين غالباً تعريفاً عالمانياً؛ حيث تحصر التعريفات مفهوم الدين في الحالة العقلية الداخلية، أو التجربة الروحية الشخصية بين الإنسان وقوى

(١) محمد عبد الله دراز، الدين، دار القلم، ص ٣٣

روحية ما، والمعزولة عما هو دنيوي أو عالمانى. تلقى هذا المفهوم الغربى للدين، والذي استمر لقرون، العديد من الانتقادات فى العقود الثلاثة الأخيرة من قبل مفكرين غربيين. على سبيل المثال: قرر برنت ننجبرى Brent Nongbri فى كتابه: ما قبل الدين Before religion: A history of a modern concept أن المفهوم الغربى للدين الذى يفصل بين ما هو دينى من جوانب الحياة وما هو دنيوي، لم تعرفه البشرية قبل ولادة العالمانية فى عصر النهضة. فقد كانت (الآلهة) تتدخل فى جميع جوانب الحياة، وكانت العقائد (الدينية) جزءاً لا يتجزأ من الأنشطة والممارسات العملية الحياتية اليومية التى يمارسها الناس كالفن والسياسة والتجارة والعلم. حتى الكلمات القديمة التى اشتق منها أسماء الأديان تدل على ممارسات عملية أكثر منها مجرد كيانات مفاهيمية تجريدية؛ فالكلمة اليونانية ioudaismos لم تكن تعنى الدين اليهودى ولكن اتباع الممارسات المرتبطة باليهود. وكذلك الكلمة العربية إسلام islam لم تكن تعنى الدين الإسلامى ولكن الخضوع والانقياد. هذا لا يعنى أن العالم القديم لم يعرف التفرقة بين ما هو مقدس ومدنس أو طاهر ودنيء ولكن لم تكن هذه التفرقة من جنس التفرقة الحديثة بين ما هو دينى ودنيوي (أو عالمانى). بمعنى آخر، لم تقم الشعوب القديمة بتقطيع العالم بهذه الطريقة الغربية المحدثة. ولذلك لم تعرف اللغات القديمة مرادفاً لما يطلق عليه الغربيون فى العصر الحديث (دين)، ولم

يوجد هذا المفهوم الغربي خارج نطاقه الثقافي الجغرافي إلا بعد أن اصطدمت الثقافة الغربية المسيحية بالثقافات الأخرى. يرجع ننجبري ظهور ذلك المفهوم للدين في تلك الحقبة تحديداً من التاريخ الأوروبي لعدة عوامل من أهمها: تحدي البروتستانت للسلطة البابوية والذي قاد إلى ما عرف بالحروب الدينية، حيث لم تقتصر الخسائر على الدماء التي أريقت ولكن أدت تلك الحروب أيضاً إلى تدهور الحركة التجارية وتعطيل التبادل التجاري. ومن هنا اقترح بعض الشخصيات العامة البارزة مثل جون لوك أن استقرار الكومنولث لن يتحقق بحسم النزاع حول أي اتجاه في المسيحية هو الاتجاه الحق ولكن بعزل الاعتقادات حول الله وجعلها في النطاق الشخصي، مع رفع درجة الولاء لقوانين الدولة لتكون أكبر من الولاء لله. هذا بالإضافة إلى أن العقل البروتستانتي يميل إلى تصور الدين كحالة فردية نفسية داخلية أكثر منه ممارسة عملية حياتية^(١).

تعددت مقاربات تعريف الدين في الدراسات الغربية الدينية. من ذلك: المقاربة التجريبية التي يتم من خلالها عزل تجربة دينية أساسية ثم بناء نظرية حولها. والمقاربة الموضوعية التي تسعى لتحديد المعتقدات المركزية كأساس للتعريف أو ذكر مجموعة من

(١) انظر:

Nongbri, B. (2015). Before religion: A history of a modern concept. New Haven: Yale University Press, p.6,17.

الخصائص التي إذا عرضت على مجموعة كبيرة من الناس فسينفقون غالبًا على أنها إن وجدت في ممارسة معينة كانت دينًا. والمقاربة الوظيفية التي تسعى إلى إدراك كيفية عمل الدين في حياة المجتمع. ومقاربة التشابه العائلي التي تبحث عن أوجه التشابه المتشابهة في الجوانب النظرية (كالمعتقدات والأساطير) والعملية (مثل الشعائر والقواعد الأخلاقية) والمجتمعية (كالمؤسسات والسلوك الاجتماعي) والتجريبية الروحية (كالعواطف والإلهامات). وأخيرًا مقارنة ما بعد الحداثة التي تسلط الضوء على الطبيعة الغامضة وغير المستقرة للدين^(١). من أمثلة المقاربة الموضوعية ما قام به وليام ألتون الذي ذهب إلى أن انطباق عدد من الخصائص التالية على مجموعة من الممارسات الثقافية يؤهلها لاستحقاق اسم (الدين):

- ١- الاعتقاد في كائنات فوق طبيعية (آلهة).
- ٢- التمييز بين العناصر المقدسة والمدنسة.
- ٣- الطقوس التي تركز على العناصر المقدسة.
- ٤- قانون أخلاقي يُعتقد أنه قرر من قبل الإلهة.
- ٥- مشاعر وجدانية دينية بشكل مميز.

(١) انظر:

Olson, C. (2011). *Religious Studies: The Key Concepts*. London: Routledge, p.11-12.

- ٦- الصلاة وغيرها من أشكال التواصل مع الآلهة.
- ٧- رؤية كونية أو تصور عام كلي للعالم وموقع الفرد فيه.
- ٨- تنظيم شامل إلى حد ما لحياة الفرد تقوم على أساس الرؤية الكونية السابقة.
- ٩- عقد اجتماعي يربط المجموعة بواسطة ما سبق أعلاه^(١).

ثالثاً: تعريف إبستمولوجيا الدين كمركب إضافي

يمكن تعريف إبستمولوجيا الدين بأنها: عملية تحليل السمات العامة للمكون المعرفي للدين بغرض معرفة القيمة الإبستمولوجيا له من حيث إمكانية تبرير الاعتقادات الدينية تبريراً عقلانياً وما يتبع ذلك من تحمل مسؤولية الإيمان بتلك الاعتقادات. ونظراً لمركزية الاعتقاد بوجود الخالق في الأديان فإنه من الممكن - بصورة أكثر تحديداً أن نعرف إبستمولوجيا الدين بأنها: دراسة المواقف المختلفة مما يسمى بالاعتراض الدليلي على الاعتقاد بوجود الله^(٢)؛ ذلك أن الاعتقاد بوجود الله هو المركز أو الأصل العقدي الذي ينبنى عليه ما سواه

(١) انظر:

Alston, William P. "Religion." In Encyclopedia of Philosophy, vol. 7. New York, 1967. p. 368.

(٢) سيأتي تعريفه قريباً، والدليلي نسبة إلى الدليلية Evidentialism: واحدة من أكثر نظريات التبرير الإبستمولوجي شيوعاً. راجع كتاب: (مدخل إلى الدليلية)، من إصدارات مؤسسة نماء.

من اعتقادات دينية، فإذا ثبت عدم وجود أسس إبستمولوجية مقبولة تبرر عقلانية هذا الاعتقاد فما سواه -مما هو مبني عليه- من باب أولى؛ لذلك يحتل الاعتقاد بالله غالبًا محور البحث في مجال إبستمولوجيا الدين.

وفي هذا المدخل مقدمة لبعض مباحث إبستمولوجيا الدين، تناولت فيها بيان الاعتراض الدليلي ومواقف بعض المؤلفين منه، مع التوسع -نسبيًا- مع أنصار الإبستمولوجيا الإصلاحية.

وقد ألحقت بهذه المقدمة ترجمة لورقة كتبها الفيلسوف الأمريكي التحليلي ألفن بلانتنجا وهي بعنوان (هل الاعتقاد بالله اعتقاد أساسي؟). وقد وضع فيها خلاصة أطروحته بخصوص الموقف الإبستمولوجي من الاعتراض الدليلي وجود الله.

يعد ألفن بلانتنجا أحد أهم الأعلام البارزة في مجال فلسفة الدين المعاصرة. ولد في ولاية ميشجن الأمريكية عام ١٩٣٢ في أسرة ترجع أصولها إلى فريزلند (إقليم في شمال هولندا). بناء على نصيحة والده الذي حصل على الدكتوراه في الفلسفة وعمل بقسم الفلسفة في كلية كاليفين = التحق بلانتنجا على مضض بكلية كاليفن عام ١٩٥٠ ثم قدم أثناء ذلك في كلية هارفارد ليحصل على منحة دراسية هناك، ثم عاد مرة أخرى إلى كلية كاليفن متأثرًا بمحاضرات وليام هاري جيليمان^(١)

(١) وليام هاري جيليمان (١٨٩٣-١٩٨٢) فليسوف أمريكي مسيحي. مؤسس قسم الفلسفة بكلية كاليفن. درس فيها ثم انتقل إلى جامعة إنديانا ودرس في جامعة هارفرد ثم رجع إلى كلية كاليفن مرة أخرى.

William Harry Jellema الذي كان يحاضر فيها. اهتم بلانتنجا بالإبستمولوجيا، وفلسفة الدين، والمنطق. واشتهر بأطروحة الإبستمولوجيا الإصلاحية التي سعى من خلالها مع بعض الفلاسفة الأمريكيين إلى إثبات عقلانية الاعتقاد التألّهي بشكل عام والاعتقاد المسيحي بشكل خاص. كما اشتهر أيضًا بانتصاره لحصريّة الحقيقة الدينية، التي تتمثل عنده في الإيمان المسيحي وحده، وجداله مع جون هيك بخصوص أطروحة الأخير في تعددية الحقيقة الدينية.

ازدهر بلانتنجا في المجال الأكاديمي؛ فحصل على الأستاذية من جامعة واين ستيت (١٩٥٨-١٩٦٣)، وجامعة كاليفورنيا (١٩٦٣-١٩٨٢) وجامعة نوتردام (١٩٨٢-٢٠٠٢). وقد كان أستاذًا زائرًا في عدد من الجامعات البارزة، مثل: هارفارد (١٩٦٤-١٩٦٥)، وشيكاغو (١٩٦٧)، وميتشيغان (١٩٦٧)، وبوسطن (١٩٦٩)، وإنديانا (١٩٧٠)، وجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس (١٩٧٢)، وسيراكوز (١٩٧٨). وأريزونا (١٩٨٠). وقد دعي لتقديم محاضرات فيها، ومن بين المحاضرات التي تمت دعوته إلى تقديمها، سواريز، جامعة فوردهام (١٩٨٦)؛ جيفورد محاضر، جامعة أبردين (١٩٨٧)؛ محاضر وايلد، جامعة أكسفورد (١٩٨٨)؛ و(للمرة الثانية) جيفورد محاضر، جامعة سانت اندروز (٢٠٠٥). حصل على زمالة جوجنهايم (١٩٧١-١٩٧٢) وزمالة الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم منذ عام ١٩٧٥. كما حصل على درجات فخرية من جامعة Glasgow (١٩٨٢)، كلية Calvin

(١٩٨٦) وجامعة أمستردام الحرة (١٩٩٥). ولبلانتنجا مؤلفات عديدة منها:

الإيمان والفلسفة (١٩٦٤)، الحجة الوجودية (١٩٦٥)، الله والعقول الأخرى (١٩٦٧)، طبيعة الضرورة (١٩٧٤)، الله، والحرية، والشر (١٩٧٤)، هل لله طبيعة؟ (١٩٨٠)، الإيمان والعقل (بالاشتراك مع فلاسفة آخرين) (١٩٨٣)، التبرير: الجدل السائر (١٩٩٣)، التبرير والوظيفة الملائمة (١٩٩٣)، الإيمان المسيحي المبرر (٢٠٠٠) والمقالات في الميتافيزيقيا (٢٠٠٣).

أخيراً أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل الذي هو مجرد بداية وطلية لكتابات أكثر تناوياً وعمقاً لمباحث هذا الفرع المهم من فلسفة الدين.

والله الموفق

محمد سيد سلامة 